مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مدرسة الإمام سحنون وأثرها الحضاري في إنشاء وتطوير مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي

El-Imam Sahnoun School And Its Civilizational Impact On The Establishment And Development The Institution Of Al-Hesba In The Islamic Maghreb

حسين شنينة [1] ، سليمان ولد خسال [2]

1- كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر1 ، chnina.houcin@gmail.com
2- كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر1 ، doc.soulaiman.hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 28-12-2019 تاريخ القبول: 27-01-2020

ملخص -

تعتبر المدرسة السحنونية بالغرب الإسلامي هي صاحبة الفضل الكبير في تنظيم المجتمع المغربي عموما ، والتي ساهمت كثيرا في تشكيل الهوية المغربية ذات المرجعية الإسلامية ، ومرد ذلك إلى الإصلاحات المختلفة والمتنوعة التي مست المجتمع المغربي سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ، مما أدى إلى تأسيس الدعائم الحضارية المتميزة ، خاصة في جانب الإدارة ونظام الحكم ،كالقضاء والشرطة وغيرها ...

ومن الجوانب الحضارية التي كان لها حظ وافر من الإصلاح والتنظيم، ما يتعلق بمؤسسة الحسبة ، التي انصبت عناية المدرسة السحنونية عليها كثيرا ، بداية من الإمام سحنون الذي قام بفصلها أولا عن الوالي ، ثم جعلها في أيدي تلامذته المخلصين الأكفاء ، ليوسع نظرها فيما يصلح المجتمع والسلطة معا ، ثم تلقتها بعد ذلك تلامذته وأتباعه بقبول حسن ، مساهمين في تطويرها وترقيتها على مستويين ؛ الجانب النظري الفكري: المتمثل في التنظير الفقهي لقوانين عمل المؤسسة وهو ما يعرف بفقه الاحتساب، أو في الجانب التطبيقي العملي : المتمثل في سلوك وممارسات المحتسبين من رواد المدرسة .

المؤلف المرسل: حسين شنينة : chnina.houcin@gmail.com

الكلمات الدالة -

الحسبة – مؤسسة – سحنون – الغرب الإسلامي – المدرسة

Abstract -

The Sahnounia School In The Islamic Maghreb Is Considered To Have The Great Credit For The Organization Of Moroccan Society In General, Which Contributed Greatly To The Formation Of The Moroccan Identity With Islamic Reference. This Is Due To The Various And Varied Reforms That Have Affected The Moroccan Society Politically, Culturally, Economically And Socially. This Led To The Establishment Of Distinctive Civilizational Pillars, Especially In The Administration And Governance System Such As The Judiciary, The Police And Others.

And One From The Civilizational Sides That Had A Great Part Of Reform And Organization Was The Institution Of Al-Hesba, Which Has Been Improved By The Sahnounia School Especially, Starting From Imam Sahnoun Itself Who Has Separated It First From The Governor, And Then Made It In The Hands Of His Faithful And Competent Students, To Widen Its Consideration To Benefit Both The Community And The Authority, Then It Has Been Received By Its Students And Followers With Good Acceptance, Contributing To Its Development And Promotion On Two Levels;

Theoretical-Intellectual Side: The Jurisprudence Of The Laws And Rules Of Work Of The Institution, Which Is Known As The Jurisprudence Of Al-Hesba (The Practice Of Ordering What Is Right And Forbidding What Is Wrong), In The Practical Side: Consisted In The Behavior And Practices Of The Attendants Of The School Of Al-Hesba.

Key Words -

Al-Hesba - Institution - Sahnoun – The Islamic West – School

1. - مقدمة

بعد بزوغ شمس الإسلام في الربوع المغربية وقدوم وفود العرب المسلمين إلى هذه الأقطار البعيدة ، بدأ المغرب الإسلامي يعرف نوعا جديدا من التميز والاختلاف في شتى مجالات الحياة ، سواء في الفكر والعقيدة أو في الحياة العامة أو في ما يتعلق بالسلطة ونظام الحكم ، وما كان هذا ليحدث لولا وصول عناصر مشرقية جديدة إلى هذه الأقطار ، ثم استقرارهم واندماجهم مع السكان الأصليين ، ليتشكل عبر الأيام ما يسمى بالمجتمع المغربي الأصيل ، الذي يحمل الكثير من المفاهيم والأفكار المختلفة .

وقد كان لبعض القادمين من المشرق الإسلامي ، الذين استقروا واستوطنوا هذه البلاد ، دور كبير في ازدهار الحضارة المغربية ، بفضل ما بذلوه وقدموه من أيادٍ بيضاء في خدمة الأمة الإسلامية ، من أجلّ هؤلاء على الإطلاق الإمام الفقيه القاضي الأستاذ المعلم عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بسحنون، الذي يعتبر من أفضل الشخصيات الحضارية في تاريخ الإسلام ، وهو من أسرة عربية من آل تنوخ هاجرت إلى إفريقية من حمص مع الجند الشامي ، ثم تأصلت في البلاد وعظم قدرها فيها .

لقد كان الإمام سحنون حسنة من حسنات الأيام وهبة من حباء صاحب الإنعام ، تفضل الله بها على أهل المغرب خاصة وعلى سائر المسلمين عامة ، بنى الإمام سحنون صرحا عظيما وجسرا كبيرا من جسور العلم والمعرفة ، لا زلنا نتفيأ ظلاله كل حين إلى يومنا هذا ، فقد أسس رحمه الله مدرسة مالكية مغربية واضحة المعالم ، مسبوكة المناهج ، يسير عليها كل من أتى بعده، ليس في الجانب النظري والمعرفي فحسب بل حتى في الجانب العملي التطبيقي ، فقد كان الإمام سحنون يعيش في المجتمع مفتيا وقاضيا ومحتسبا، يطال نظره كل أحد سواء أكان من آل السلطان أو من غيره ، وكانت آراؤه وتنظيماته لازمة لعامة الناس ، فنقل المجتمع القيرواني نقلة حضارية عجيبة ، كما خلف وراءه مؤلفات مفيدة لا تزال أيدي العلماء تحوم حولها إلى اليوم ، وترك لنا ثلة من تلامذته الأولين وثلة من الآخرين من رواد هذه المدرسة ، الذين واصلوا العطاء والبذل خدمة للمسلمين .

والجدير بالذكر أن جملة من الباحثين قد درسوا المجتمع المغربي حضاريا، وبينوا أن الفضل في كثير من جوانبه الحضارية يعود إلى مدرسة الإمام سحنون، التي رسمت إطارا تنظيميا لكثير من الأمور الأساسية ، خدمة للمجتمع المغربي على مختلف الصعد الحضارية، ومن هذه الجوانب المهمة ما يتعلق بالسلطة والمجتمع معا، وأقصد هنا الجانب الإداري أي المؤسسات التابعة للسلطة ذات المساس المباشر بالمجتمع ، كالقضاء والمظالم والحسبة والشرطة ...إلخ ، وقد تناول بعض المهتمين والباحثين بعض هذه الإسهامات، وأريد في هذا البحث أن أكشف عن إسهامات مدرسة الإمام سحنون فيما يتعلق بمؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي ، التي يعود الفضل في إنشائها وتطويرها إلى هذه المدرسة ، وللغوص أعمق في جزئيات هذا الموضوع قسمته إلى مباحث ومطالب على هذا النحو:

المبحث الأول : مدرسة الإمام سحنون بالغرب الإسلامي :

المطلب الأول : التعريف بمدرسة الإمام سحنون .

المطلب الثاني : التعريف بالمؤسس "الإمام سحنون" .

المطلب الثالث : رواد المدرسة السحنونية بالغرب الإسلامي (تلاميذ الإمام سحنون) .

المبحث الثاني : دور المدرسة السحنونية في إنشاء وتطوير مؤسسة الحسبة :

المطلب الأول : مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي .

المطلب الثاني :دور الإمام سحنون في إنشاء مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي.

المطلب الثالث :دور تلاميذ الإمام سحنون في تطوير مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي .

2. - المبحث الأول : مدرسة الإمام سحنون بالغرب الإسلامي :

1.2. - المطلب الأول : التعريف بمدرسة الإمام سحنون

تنتسب هذه المدرسة إلى مؤسسها الإمام سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني المالكي المغربي، الذي استطاع بفضل شخصيته القوية وكفاءته العلمية أن يبث فكره وعلمه ومنهجه الفلسفي في جميع أرجاء القيروان ، فانتصر أولا على خصومه وأعدائه أتباع المذهب الحنفي الذي كان سائدا وقتئذ بالمغرب ، فانتشرت أفكاره وآراؤه بين الخاصة والعامة ووصلت إلى

السلطان الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ، فغير رأيه ومال إلى مذهب الإمام سحنون ، فعينه قاضيا سنة 233ه[1]وأطلق يده فيها يحكم كيف ما يشاء [2]، ينفذ حكمه في كل الأمور صغيرها وكبيرها .

استفاد الإمام سحنون من هذه الكرامة والحرية ، فاستغلها في إدارة وتنظيم شؤون العامة والخاصة ، فقوي بذلك نظره وعلا صوته في جميع أنحاء المغرب ، وسمع به القاصي والداني ، فكثر الآخذون عنه ، وضرب الناس أكباد الدواب ليسمعوا منه ، حتى ربا عدد تلاميذه المشاهير فقط نحو سبعمائة[3] ، كلهم تحملوا مسؤولية حفظ أقواله ونشر أفكاره .

إن أهم عمل عظيم قام به الإمام سحنون في إرساء قواعد هذه المدرسة هو جمعه وتحقيقه لكتاب المدونة ، التي كانت من إملاءات عبد الرحمن بن القاسم العتقي تلميذ الإمام مالك ، وأصل هذا الكتاب هو من تأليف القاضي أسد بن الفرات المعروف بكتاب الأسدية أو المختلطة ، جمع فيها القاضي أسد الغث والسمين وخلط فيها بين المذهبين المالكي والحنفي كما ضمن فيها آراءه الخاصة فكانت بحق مختلطة، فأخذها سحنون وذهب بها إلى الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي ، أكبر تلامذة الإمام مالك وحافظ مذهبه ؛ إذ لازمه أكثر من تسعة عشر عاما ، فصحح سحنون أكثر مسائلها وضبطها وأتقنها ، فكانت عمدة المذهب المالكي ، فتلقاها الناس في الغرب الإسلامي بالقبول والرضى، وجعلوها دستورا وقانونا يحتكمون إليه ، فاختلطت مسائلها بحياتهم اليومية في المساجد والأسواق والشوارع والبيوت ...، حتى أصدر قضاة قرطبة أنه لا يفتي أحد ولا يحق له أن يلبس لباس الفقهاء حتى يستظهر المدونة[4] ، ووجد في سجلات قرطبة "ولا يخرج عن قول ابن القاسم ما وجده"[5] ، أي من شرط القاضي أن لا يحكم إلا بما في المدونة من أقوال ابن القاسم المعتمدة .

أما الجذور التاريخية لمدرسة سحنون فيمكن أن تعود إلى مشايخه بالقيروان ، الذين ارتحلوا إلى الحجاز ليأخذوا من علمها الإمام مالك بن أنس ، ثم رجعوا إلى القيروان فنشروا مذهب مالك ، وقد فاق عددهم ثلاثين رجلا[6] ؛ يقول عياض: "...وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد ، وابن أشرس والبهلول بن راشد ، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم ، بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ،

ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه ، وفض حلق المخالفين ، واستقر المذهب بعده في أصحابه ، فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا ..." [7]
وقد كان من أبرز هؤلاء أثرا أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي [ت183ه] ، الذي يعتبر أول من أدخل الموطأ بلاد المغرب[8] ، وهو أول من فسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه ، وقد كان سحنون لا يزنه بأحد من تلاميذ مالك ، ولا يقدم أحدا من أهل إفريقية عليه[9] ، فهو يعد بحق واضع اللبنة الأولى في تأسيس هذه المدرسة[10] .

أما عصر الإمام سحنون فيعتبر العصر الذهبي لتأسيس المدرسة وتطويرها وتنظيمها ، خاصة مع وجود كوكبة من تلامذته وأصحابه الذين ازدهرت وازدانت بهم مدينة القيروان ، كما يقول محمد بن الحارث الخشني: " ... ثم قدم سحنون بذلك المذهب، واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين ، فمالت إليه الوجوه، وأحبّته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد امّحى ما قبله ، فكان أصحابه سراج أهل القيروان، فرأيته عالمها وأكثرهم تأليفاً ، وابن عبدوس فقيهها، وابن غانم عاقلها، وابن عمر حافظها، وجبلة زاهدها، وحمديس أصلبهم في السنة وأعداهم للبدعة، وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشهدهم للوقار وتصاوناً، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم ..." [11]، فذاع بفضلهم صيت هذه المدرسة ، وانتشرت أفكارها في بلاد الغرب الإسلامي .

وأول سفراء هذه المدرسة إلى المغرب هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي [ت357ه] ، الفقيه الحافظ النظار المعروف بالعلم والصلاح والدين ، تلميذ أبي بكر بن اللباد من مدرسة الإمام سحنون ، الذي يعتبر أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس ، وبه اشتهر مذهب مالك هنالك [12] ، خاصة في عصر حكم الأدارسة [172ه_375ه] الذين نصروا مذهب مالك وجعلوه المذهب الرسمي لدولتهم .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن فترة الأدارسة قد شهدت سنة 245ه تأسيس فرع جديد للمدرسة السحنونية ، متمثلا في جامع القرويين بفاس ، الذي يعود له الفضل في انتشار المذهب المالكي بتلك الأصقاع ، لما يقوم به من خدمة جليلة لهذا المذهب ، وبما خرجه من علماء كان لهم الأثر الكبير في نشر مبادئه ؛ كما

يظهر من خلال تسميته بجامع القرويين الانتساب الظاهر لمدينة القيروان ، في إشارة إلى إنشاء مركز إشعاع علمي ثقافي هو فرع عن مدرسة الإمام سحنون .

2.2. - المطلب الثاني : التعريف بالمؤسس "الإمام سحنون"

هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي [13]، من صليبة العرب ، من عرب الشام ويرجع أصل قبيلته تنوخ إلى اليمن [14]، وقد كان لها فضل كبير ودور مهم في الفتوحات الإسلامية [15] ، وكان اسمه عبد السلام فغلب عليه لقب سحنون ، قال عياض :" سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يحكي عن بعض شيوخ إفريقية أنه قال: سمي سحنون باسم طائر حديد ، لحدّته في المسائل "[16] وقيل لحدته ذهنه [17].

ولد سحنون في أول ليلة من شهر رمضان سنة ستين ومائة[18] ، ونقل المالكي أنه ولد في رجب بقرية يقال لها مزنانة الشرق [19]، قدم به أبوه إلى إفريقية مع جند حمص[20] .

نشأ سحنون محبا للعلم شديد الرغبة في تحصيله وطلبه ، كما تشير كتب الطبقات والرجال من خلال ترجمتها له ، صاحب همة عالية وذكاء نادر فاعتنى به علماء القيروان كأبي خارجة والبهلول بن راشد وعبد الرحيم بن أشرس وأبي محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي والقاضي عبد الله بن عمر بن غانم ومعاوية بن الفضل الصمادحي وغيرهم ؛ حتى كان يشار إليه بالبنان وظهر على جميع أقرانه ، فأمره شيخه البهلول بن راشد بالسفر إلى تونس ليلقى العالم الكبير والفقيه النظار علي بن زياد العبسي التونسي أحد رواة الموطأ ، وكتب البهلول إلى علي بن زياد يوصيه بسحنون خيرا وقال له : "إني كتبت إليك في رجل يطلب العلم لله عز وجل " ، قال : فلما قرأه قال لسحنون : "أين نزلت؟ " فأخبره ، قال : فأخذ علي بن زياد الموطأ فأتى به إلى سحنون ليسمعه في موضعه الذي نزل به ، وقال :" إن أخي _يعني البهلول_ كتب إلي يعلمني أنك إنما تطلب العلم لله تعالى"[21] .

استفاد سحنون من علي بن زياد كثيرا ، فأشار عليه بالذهاب إلى المدينة ليسمع من الإمام مالك مباشرة طلبا لعلو الإسناد، وليلتقي بكبار العلماء في المشرق الإسلامي فيستفيد منهم أكثر فأكثر ، فاستجاب لذلك سحنون ورحل إلى المشرق سنة 188ه وقيل قبل ذلك سنة 178 ه [22] ، فسمع بالمدينة من عبد الله

بن نافع الصائغ ومعن بن عيسى وأبي ضمرة أنس بن عياض وعبد الملك بن الماجشون وسعيد بن سعيد الزنبري ومطرف بن عبد الله[23] وغيرهم ، أما مالك بن أنس فلم يسمع منه فقيل له وهو بمصر: "ما منعك من السماع منه؟ قال : قلة الدراهم ، وقال مرة: لحى الله الفقر ، فلولاه لأدركت مالكا "[24] ؛ وسمع بمصر من عبد الرحمن بن القاسم العتقي ، وأشهب بن عبد العزيز ، وعبد الله بن وهب القرشي ، وأصبغ بن الفرج وعبد الله بن طليب المرادي وعبد الله بن عبد الحكم ، وشعيب بن الليث بن سعد ، ويوسف بن عمرو[25] ؛ وسمع بالشام من الوليد بن مسلم ، وأبي سعيد أيوب بن سويد الحميري[26] ، وسمع بمكة من وكيع بن الجراح وسفيان بن عيينة ، وسمع سحنون كذلك من عبد الرحمن بن مهدي وحفص بن غياث ويزيد بن هارون ويحيى بن سليمان وأبي داود الطيالسي وأبي إسماعيل الأزرق[27] وغيرهم ...

أما عن ملامح شخصية الإمام سحنون فتظهر جليا في ثناء العلماء عليه، سواء المعاصرين له أو ممن جاء بعده وسمع عنه ، فمناقبه كثيرة جدا جمعها بعضهم في تآليف مفردة ومضافة ، منهم أبو العرب محمد بن أحمد التميمي ومحمد بن حارث الخشني [28] ، قال عنه يونس بن عبد الأعلى : "هو سيد أهل المغرب"[29] ، وكان أبو عياش بن عيشون يقول إذا ذكره :" قال الإمام أبو سعيد"[30]، وكان ابن طالب وغيره لا يسميه ويكنيه إجلالا له[31] ؛ يقول أبو العرب : "... كان ـ سحنون ـ جامعا للعلم فقيه البدن ، اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره ؛ الفقه البارع ، والورع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة ... "[32] ، وقال عنه المالكي: "... لم يكن يهاب سلطانا في حق يقوله ، سليم الصدر للمؤمنين ، شديد على أهل البدع ، انتشرت إمامته بالمشرق والمغرب وسلم له الإمامة أهل عصره ، وأجمعوا كلهم على فضله وتقديمه ... "[33] ، ونقل عياض عن أبي العرب أنه أدرك جملة من مشاهير الفقهاء والشيوخ كلهم يقولون : " ما رأينا أحدا مثل سحنون في ورعه وفقهه وزهده " [34]، وقال سعيد بن محمد بن الحداد : " ...جالست الناس بهذا البلد مذ بلغت الحلم ما رأيت أصح غريزة من سحنون بن سعيد ...كان سحنون عاقلا بمرة ، ورعا بمرة، عالما بمذاهب المدنيين بمرة "[35]، وقال سحنون لابنه محمد لما أراد الرحلة إلى المشرق لطلب العلم : " يا بني إنك تقدم على طرابلس وفيها رجال مدنيون

ومصريون ، وعلى مكة والمدينة ، فاجتهد جهدك ، فإن قدمت عليّ بلفظة خرجت من دماغ مالك بن أنس ليس عند شيخك أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطا !"[36] ؛ أما عن أحوال معيشته فقد كان متكففا زاهدا قنوعا يعيش بكسب يده، يقول عنه تلميذه أبو الربيع سليمان بن سالم القطان :" أخذ سحنون بمذهب أهل المدينة في كل شيء حتى في العيش ، كان يقول: ما أحب أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده ، ولا يتكلف أكثر مما في يديه ، وإن احتاج إلى امرأة طلبها على قدر ذات يده في مؤونتها وقناعتها ، حتى يبقى في يده ما يستغنى به ، فإن كان له مال حلال اعتمد عليه وتفرغ للعبادة، وإن لم يكن عنده فعليه بكسب يده ، فذلك أولى به من مسألة الناس، وإن كان مستغنيا عن الزوجة فتركها أحب إلي ، وأكل أموال الناس بالمسكنة والصدقة خير من أكله بالعلم والقرآن " [37] ، وقال عنه أبو حفص عبد الجبار بن خالد:" كنا نسمع من سحنون بمنزله بالساحل ، فخرج يوما علينا وعلى كتفه المحراث ، وبين يديه الزوج ، فقال لنا : إن الغلام حم البارحة ، فإذا فرغت أسمعتكم ، فقلت له: أنا أذهب وأحرث ، وتسمع أنت أصحابنا ، فإذا جئت قرأت عليك ما فاتني ؛ ففعل ، فلما جئته قرب إليه غذاؤه : خبز شعير ، وزيتا قديما "[38] ، هكذا كانت حياته متقللا قنوعا زاهدا في الدنيا وزخرفها، راضيا بما عنده غير ملتفت إلى ما عند السلطان وأولي الأمر ، يعيش على ضيعة ورثها عن والده تغل عليه في كل سنة أكثر من خمسمائة دينار[39]، فاستغنى بها عن طلب الوظائف أو السعي إلى نيل المناصب ، ومع ذلك كان يأكل خبزا يبله في الماء ثم يغطسه في الملح ، فما تنقضي السنة إلا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه[40] .

توفي رحمه الله يوم الأحد قبيل نصف النهار لثلاث خلون من رجب ، وقيل لسبع خلون منه ، سنة أربعين ومائتين (240ه) ، ودفن في يومه ، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب ، وقد وجد الناس لموته ألما شديدا وحزنا عظيما لفقدهم علما كبيرا وشخصية فذة فقد كان بالنسبة لهم ظهيرا ووزيرا يفزعون إليه يحبونه ويجلونه ، فموته كان مصيبة عظيمة ليس لأهل القيروان فحسب بل لأهل المغرب جميعا ، يقول سليمان بن سالم :" لقد رأيت يوم مات سحنون ، مشايخ من أهل الأندلس ، يبكون ويضربون خدودهم كالنساء ، ويقولون : يا أبا سعيد! ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا "[41] .

3.2. - المطلب الثالث : رواد المدرسة السحنونية بالغرب الإسلامي (تلاميذ الإمام سحنون)

استطاع الإمام سحنون بحق أن يؤسس لثورة علمية ونهضة فكرية في إفريقية كلها ، امتدت جسورها المعرفية والفكرية سائر بلاد الغرب الإسلامي، يعود الفضل في ذلك كله إلى مؤسسها أولا ثم إلى رواد هذه المدرسة ، وأقصد هنا تلاميذ الإمام سحنون وطلبته المبرزين ، الذين تأثروا بمنهجه وشخصيته فتحملوا أفكاره وفلسفته ومعارفه التي حفظوها عنه ، وأخذوا يسيحون في الأرض يجوبون أقطار العالم الإسلامي ، لينشروا ما تعلموه من فقه ودين وعلم وتقوى وفضيلة، قال ابن عجلان الأندلسي:" ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله ﷺ ، ما بورك لسحنون في أصحابه ، إنهم في كل بلد أئمة "[42]، وقال ابن حارث :" سمعتهم يقولون: كان سحنون أيمن عالم دخل المغرب ، كان أصحابه مصابيح في كل بلدة، عد له نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته ، وانتفعوا بمجالسته ..."[43] .

طبعا هذا الجم الغفير من تلاميذ الإمام سحنون وطلبته يدل دلالة واضحة على عمق التأثير الكبير الذي خلفه سحنون في المجتمع المغربي عموما ، فقد كانت حلقته قبلة لكثير من طلاب العلم والمعرفة من شتى أصقاع العالم الإسلامي وخاصة القادمين من جهة المغرب ، خرّجت عددا ضخما من العلماء والفقهاء والقضاة تفرقوا في الأمصار ، مؤسسين فروعا عن المدرسة السحنونية في مختلف أقاليم بلاد الغرب الإسلامي ، ولا تزال أخبارهم ومناقبهم مبسوطة ومنثورة في كتب التاريخ والطبقات وعلم الرجال، سطرتها أقلام ثلة من المؤرخين والمحدثين والعلماء ؛ والذي يهمنا هنا هو ذكر أشهر التلاميذ رواد المدرسة السحنونية وأثرهم في المجتمع المغاربي ، وما كانوا يتقلدونه من مناصب مهمة ووظائف سياسية وإدارية ودينية ودورهم الحضاري في نشر الثقافة العربية الإسلامية .

من أشهر أعلام هذه المدرسة ، الذين كان لهم حظ وافر في التمكين لمبادئها وأفكارها ، "حمديس القطان" أحمد بن محمد الأشعري [44] يقال إنه من ولد الصحابي أبي موسى الأشعري ﷺ ، رحل فلقي بالمدينة أبا مصعب وغيره ، وبمصر أصحاب ابن القاسم وابن وهب وأشهب[45] ، اشتهر بالعبادة والصلاح حتى

كان مضرب المثل [46]، علما في الفضل ومثلا في الخير [47]، قد لهج الناس بتفضيله وأقروا بخيره [48]، عرف بصلابته وشدته مع المبتدعة وأهل الأهواء ، عظيم الحنق والكراهة لهم ، ولو كانوا أقرب الناس إليه ، فقد هجر جماعة من أصحابه لا يكلمهم ولا ينظر إليهم بسبب مخالفتهم للشرع أو تساهلهم مع مخالفيهم ممن يرى أنهم من أهل الأهواء ، كصديقه أبي حفص عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي من أكابر أصحاب سحنون [49]، هجره حمديس بسبب قراءة كتب ابن مهدي البكري، وكان لا يسلم عليه، ولا يرد عليه إذا سلّم [50] ؛ وهجر كذلك حماس بن مروان الهمداني قاضي القيروان بسبب مخالفته في مسألة الاستثناء في الإيمان فترك الصلاة خلفه ورد السلام عليه[51] ؛ كما عرف عنه مجانبته للسلطان[52] وحاشيته يكره الجلوس إليهم ، ومما يروى في ذلك أنه طلب من الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد أن يعافيه من مجلسه فلا يجيء إليه ، وقال له :" إنك لا تجد عندي ما تريد، مما يكون عونا لك "[53] ، ومن ورعه أنه كان لا يسلك على القناطر التي بناها أصحاب السلطان [54]، توفي سنة 289 ه .

ومنهم كذلك الإمام الفقيه الزاهد أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي[55] ، من كبار تلاميذ سحنون، ثقة صحيح السماع عنه ، روى عنه المدونة وروايته فيها معلومة مشهورة[56] ، لكن غلب عليه النسك والزهد ، وشهد له أبناء زمانه بالتقدم والإمامة فيه ، ومنهم شيخه سحنون الذي قال فيه:" إن عاش هذا الشاب فسيكون له نبأ ، وهو أزهد أهل زمانه "[57] ، وضرب به المثل في ترك الدنيا والتقلل منها ، حتى قيل: من أراد أن يدخل دار عمر بن الخطاب فليدخل دار جبلة [58] ؛ فقد كان رحمه الله على جانب كبير من الزهادة والتقشف والانقطاع عن الدنيا ، يلبس الخشن الخلق الذي لاقيمة له ، روي أن بعض أصحابه قوّم لباسه كله بدرهم غير ربع[59] ، وراح يوما إلى صلاة الجمعة في قميص زوجته لأنه غسل ثوبه فلم يجد سواه[60]، وروي أنه كان ينام على زنبيل وقطع نطع وطوبة عند رأسه فوقها وسادة[61] ؛ أما قوته اليومي فكان على شيء قليل من الدقيق فيعجنه ثم يضعه في المستوقد ، وقد طبخ فيه الناس وبقي الرماد فيحفر فيه بعود ، ويجعل القرصة فيه، ويغطيها بالرماد، ثم يجلس في ذكر ودعاء إلى أن تنضج فيخرجها ليأكلها[62] ؛ وربما خرج إلى البادية يجمع ما وقع على يديه من بقلها ، ليجعله في قديرة على النار، ويجعل عليه قبضة من

الدقيق ، فيفطر على ذلك[63] ، هكذا كان عيشه منذ أربعين سنة ما طبخ قدرا ولا أوقد سراجا[64] ، كل همه وشغله ذكر الآخرة لا يفكر إلا بالعبادة والعمل الصالح ، قال عياض : " ولم يكن جبلة بصيرا بشيء من أمر دنياه ، ولا مشتغلاً بشيء من أخبارها من البله عن ذلك ، إنما شغله العبادة والخير ..."[65] .

ومن ملامح شخصيته أيضا أنه كان شديدا على أهل البدع ومجانبته إياهم [66]، قويا في ذات الله عز وجل، لا يداري في ذلك أحدا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، عاش في القيروان أيام حكم الفاطميين الذين جاسوا خلال الديار ، فلم يكن أحد أكثر مجاهدة منه لأولائك الروافض وشيعهم [67]، مبغضا ومظهرا العداوة والمخالفة لهم ، ولما خرج أهل القيروان للقاء الشيعي مداراة له ، غمّه ذلك وقال:" اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليهم فجردوا في الطريق ، فقيل له إنهم خرجوا مداراة ، فقال اسكت، أرأيت لو نزل الروم بنا فقالوا إنما تنزلون على حكمنا أو نجاهدكم، هل كان يجوز أن ننزل على حكمهم ؟! وإن عشت سترى من أحكام هؤلاء ، ما هو شرّ من أحكام الشرك " [68]، ومن الغرائب أنه كان إذا أصبح وصلى الصبح، خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة، ومعه سيفه وترسه وقوسه وسهامه ، وجلس محاذياً لرقادة نهاره إلى غروب الشمس ، ثم يرجع إلى داره ، ويقول:" أحرس عورات المسلمين منهم ، فإذا رأيت منهم شيئاً ، حركت المسلمين عليهم "[69] ؛ وكان ينكر على من خرج من القيروان إلى سوسة ونحوه من الثغور ، ويقول:" جهاد هؤلاء أفضل من جهاد المشركين "[70] .

ومن رواد هذه المدرسة المعدودين في أصحاب سحنون ، الفقيه الثقة أبو نصر حبيب بن نصر بن سهل التميمي ، من أبناء الجند القادمين إفريقية[71]، ولاه سحنون المظالم سنة ست وثلاثين ومائتين[72] ، أدخل ابن سحنون سؤالاته لسحنون في كتابه [73]، وعن نصر عامة روايته [74]، وله كتاب معروف في مسائله له سماه بالأقضية ، توفي سنة 287 ه[75] .

ومنهم كذلك أبو زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكندي[76]، الإمام الحافظ الفقيه الثقة، تلميذ الإمام سحنون ومن كبراء أصحابه [77]، ولد في جيان بالأندلس سنة 213 ه[78] ، ونشأ بقرطبة ثم رحل إلى القيروان واستوطنها[79] ، ثم استقر أخيرا بسوسة وتوفي بها سنة 289 ه[80]، قال ابن حارث:" كان يحيى متقدماً في الحفظ ، سكن القيروان فشرفت بها منزلته عند العامة

والخاصة ، ورحل الناس إليه لا يروون المدونة والموطأ إلا عنه..."[81]، وصنف الدووادين الجياد وأكثر حتى عد له أكثر من أربعين مؤلفا[82] ، فكانت إليه الرحلة في وقته[83] ، وازدحم الناس في حلقته يسمعون منه ، حتى امتلأ المسجد وما حوله بالمستمعين[84]، فإذا انصرف من درسه تبعه الناس في الطرقات[85]، فكانت له هيبة عظيمة ومنزلة شريفة عند الخاصة والعامة والسلطان[86] ، وعرض عليه القضاء مرات فأبى وامتنع واعتذر بأنه غريب[87]، ودل الأمير فأشار عليه بعيسى بن مسكين[88] فولاه القضاء ، وهو من أصحاب سحنون الذين أخذوا عنه أيضا .

والجدير بالذكر أن القاضي عيسى بن مسكين كان من أكثر تلامذة سحنون محبة ومتابعة له ، فعليه كان يعتمد ، وبه كان يقتدي في كل أموره، في شمائله وزهده ومباينته لأهل البدع[89] ، وكان يشبهه كثيرا في هيبته وسمته[90]، وقد تحمل عنه مسؤولية تعزيز سلطة المدرسة السحنونية ، ونشر أفكارها والدفاع عن فلسفتها ورؤيتها للحياة الفكرية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويظهر ذلك جليا عند توليه خطة القضاء خوفا من أن يسبق إليها غيره [91]، وحرصا منه على استكمال المشروع الفلسفي للمدرسة ، والتمكين لها من أجل الاستمرار في منهجها المرسوم ، خاصة إذا علمنا أن القاضي عيسى بن مسكين كان يرى نفسه أنه خليفة الإمام سحنون ، وكان يقول:" لما مات سحنون اغتممت لموته ، فرأيته في نومي كأنه خلع من عنقه سيفاً كان متقلداً به ، وقلدني إياه ، فقلت: كان سحنون رجلاً فاضلاً ، والله لأقفون أثره "[92] .

وفي الحقيقة يمكن القول إن قوة شخصية ابن مسكين ساهمت كثيرا في بسط نفوذ أفكار المدرسة ودوام استمرار إنتاجها الفكري ، بفضل مناقبه ومآثره التي اشتهرت عنه وانبسطت بها كتب التاريخ والتراجم في مدحه والثناء عليه ، حتى قيل:" لو أفردنا كتابا في ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وعدله، ما انتهينا إلى وصفه ..."[93] ، فهو العالم الفقيه الزاهد الورع ، مفخرة المغرب في زمانه[94] ، كان إذا تفاخر أهل المدينة وأهل العراق برجالهم ، فقيل لأهل العراق: عندكم مثل عيسى بن مسكين ؟ _ يفخمونه_ ويقولون: ذاك أفضلنا وأفضلكم[95] ، ولما تولى القضاء اشترط على الأمير ما اشترطه سحنون لنفسه، فقال:" أحملك على الحق، وبنو عمك وجندك وفقراء الناس وأغنياؤهم في درجة واحدة ، قال:نعم ، قال: اكتبه، ففعل ، قال: ولا توجه ورائي ، ولا أهنّي ولا أعزّي ولا أشيّع

ولا أتلقى ، فمتى لم تفِ لي بشرط ، عزلت نفسي، قال: نعم "[96] ، وعرض عليه الأمير الصلة والكسوة فامتنع[97]، ولم يأخذ في مدته على القضاء أجرا [98]، إنما كان يعيش بدقيق يأتيه من منزله ، يخبزه بنفسه ، ومن بقل وشيء يأتيه من البادية ، فإن لم يأته شيء انتظره ، فربما بقي اليومين والثلاثة بلا طعام [99]، ووقع ذلك له برقادة حين فرغ ما عنده من القوت فبقي ثلاثة أيام لا يطعم شيئاً ، إلى أن لزم فراشه ضعفاً ، حتى أتاه الرسول ، آخر اليوم الثالث[100] ؛ ومما يذكر عنه أنه كان لا يستعين بأحد في شيء من أموره[101] ، وربما استقي له الماء فيريقه ويستقي بنفسه[102]، ودخل عليه رجل يوماً ، فوجد عجيناً له في مقلى كاد أن يحترق ، وابن مسكين في الصلاة ، فقلبه له الرجل ، فلما أتم الصلاة أمر بصدقته ولم يأكله [103]، توفي رحمه الله سنة 295 ه[104] .

ومن أولئك أيضا العالم الفقيه ، والقاضي العدل ، الورع الثقة [105]، أبو العباس عبد الله بن طالب التميمي من بني عم بني الأغلب أمراء القيروان [106]، ولد سنة 217 ه[107]، ونشأ يتيما لا أب له[108]، لكنه كان محط نظر وإعجاب من معلميه، الذين لاحظوا عليه علامات التفوق والنبوغ ورجاحة العقل منذ صغره ، فأتوا به حلقة سحنون ، ويذكر أن سحنون نسي شيئا في مجلسه ، قد ذكره لهم فسألهم عنه، فسكت الناس وأجابه ابن طالب ، فقال له سحنون: بارك الله عليك ، أحسنت يا غلام ؟ ...ثم قال له: أحب أن أرى عليك زي أهل العلم ، ما ينبغي أن يمنع هذا العلم من أحد[109] ، وقربه وأدناه ، فتفقه على يديه حتى صار أفقه الناس، قال ابن اللباد:" ما رأيت بعيني أفقه من ابن طالب، إلا يحيى بن عمر"[110]، وتقلب بعض المناصب الرفيعة في القيروان ، فولي الصلاة ، ثم القضاء مرتين ، إحداهما سنة 257 ه ثم عزل سنة 259 ه ، والثانية سنة 267 ه ، ثم عزل بعدها سنة 275 ه[111] .

ومما يذكر في شأنه أنه كان مقربا جدا إلى العامة ، يتفقد أحوالهم وينظر في شؤونهم يواسيهم بماله ونفسه، فجعل نفسه بمثابة صاحب العيال[112]، حتى عرف بذلك فكان كهف المظلومين والمحتاجين ، يقصدونه من كل فج عميق ، فمالت إليه النفوس وتعلقت بحبه القلوب ، ولما استقضي فرح الناس بذلك ، لما عرف من عدله وسماحته وعقله وحسن سيرته[113] ، واستبشروا بأيامه

لرخص السلع وارتفاع الوباء[114]، فغار الأمير إبراهيم منه وخشي على ملكه ، فكاده المكائد العظام حتى قتله سنة 275 ه [115].

ومن روادها كذلك أبو الربيع القاضي ، سليمان بن سالم القطان ، من أصحاب سحنون[116] ، اشتهر بالعلم والفقه والأدب ، وكان ثقة كثير الكتب والشيوخ ، تعرف كتبه بالكتب السليمانية مضافة إليه[117] ، تقلد بعض المناصب الإدارية في الدولة الأغلبية ، ولاه ابن طالب قضاء باجة ، وولاه ابن مسكين مظالم القيروان ، ثم ولاه قضاء صقلية ، فخرج إليها ونشر بها علما كثيرا[118] ، وعنه انتشر مذهب مالك بها[119] ، ولهذا يمكن القول إن أبا الربيع هو مؤسس المدرسة الصقلية التي تعتبر امتدادا للمدرسة السحنونية بالقيروان، فهي بمثابة فرع جديد عن المدرسة الأم ، التي واصلت في صقلية العطاء والبذل في الاتجاه نفسه ، وأنتجت فيما بعد أعلاما وكتبا يحملون المبادئ والأفكار نفسها ، كما ساهمت في تغيير المجتمع الصقلي وتنظيمه ، ثم صبغه باللون المغربي الأصيل .

كذلك الحال في الأندلس بعد هجرة العديد من رموز هذه المدرسة إليها، أمثال محمد بن وضاح القرطبي[120]، الإمام العالم المحدث الشهير ، غلب عليه علم الحديث ، فكان بصيرا بطرقه متكلما على علله، حدث بالأندلس وانتشر عنه بها علم جم ، وروى عنه من أهلها جماعة رفعاء مشهورون[121]، وأكثر من رأس وشرف بالأندلس فهم تلاميذه[122] ، وبه وببقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث[123]، قال أحمد بن سعيد :" لم يختلف علينا أحدٌ من شيوخنا أن ابن وضاح كان معلم أهل الأندلس العلم والزهد"[124] ؛ وقد كان ابن وضاح شديد التأثر والمتابعة لسحنون ، تقريبا في شأنه كله ، ومما يذكر في ذلك أن جارا لابن وضاح كان يؤذيه يشرب الخمر ويغني ، فأراد رفع أمره للقاضي ثم بعدها تذكر شأن سحنون ، وأنه ابتلي بجار سوء يؤذيه يشرب ويغني ، فصبر عليه سحنون كثيرا حتى تاب ، يقول ابن وضاح:"... فاقتديت به وصبرت ، ثم لقيت سحنون بعد ذلك ، فلم أسمع جاره ذلك بعد، فسألته عنه فقال لي: ماذا حملت منه ؟! ولقد كفانيه الصبر، وها هو مؤذن في المسجد ، وكنت أقدر أن أغير عليه وأكلم السلطان فيه ، فخشيت أن يحملني في ديني ما هو أضر منه ، فرأيت أن أصبر حتى لا يكون للسلطان علي منة "[125] .

كما اجتمع في قرطبة ثلة من أصحاب سحنون إضافة لابن وضاح ، نشروا مذهبه وعلمه وفكره الإصلاحي، كأبي سعيد عثمان بن أيوب بن أبي الصلت الذي يعتبر أول من أدخل المدونة إلى الأندلس، ومنهم أبو عبد الله العتبي صاحب كتاب المستخرجة[126] ، التي لها بإفريقية القدر العالي والطيران الحثيث[127]، ومنهم أيضا أبو نوفل محارب بن قطن الفهري القرشي [128]من أهل العناية بالعلم، والحفظ للمسائل والرأي، ومن خيار الناس وفضلائهم[129] ، ومنهم كذلك عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل رأس المالكية بالأندلس[130] ، وصاحب الصلاة بقرطبة[131] ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطروح[132] الفقيه المشاور[133] صاحب رياسة الفتيا[134] أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي [238 ه_ 273 ه] .

كذلك اشتهر في مدينة إلبيرة الفقهاء السبعة ، الذين درسوا وتعلموا على يدي الإمام سحنون، وقد اجتمعوا في وقت واحد وكان لهم الأثر البالغ في نشر أفكار المدرسة السحنونية بإلبيرة ، وهم[135]: عُمر بن موسَى الكِنانيّ، وسَعيد بن النّمر الغَافقيّ، وإبراهيم بن خالد ، وإبراهيم بن شُعَيب، وسُليمان بن نَصْر، وأحمد بن سُليمان بن أبي ربيع، وإبراهيم بن خَلاَّد ؛ وكذلك الأمر في مدينة طليطلة وسرقسطة وبلنسية وإشبيلية ومرسية والمرية وغيرها من مدن الأندلس...

والمهم في هذا كله أن تلامذة الإمام سحنون ، تفرقوا في الأمصار وانتشروا في البلاد ، يجوبون أقطار ومدن الغرب الإسلامي، يحملون علمه وفكره ومنهجه الإصلاحي في كل مكان ، فأخذ عنهم الجم الغفير وتخرج على أيديهم العلماء والصلحاء والفقهاء والأدباء والقضاة وغيرهم ... من مختلف أطياف المجتمع في سلسلة طويلة من الأعلام والمشاهير ، مؤسسين بذلك ما يعرف اليوم بالهوية المغربية ، ذات المرجعية المذهبية الموحدة ، كما أسسوا مراكز علمية وحضارية راقية ، تعتبر بمثابة فروع عن أصل جامع هو مدرسة الإمام سحنون ، فكأنها الشجرة المباركة المقصودة في قوله تعالى :" كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها " .

3. - المبحث الثاني : دور المدرسة السحنونية في إنشاء وتطوير مؤسسة الحسبة :

1.3 . - المطلب الأول : مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي

الحِسْبة بكسر الحاء وسكون السين ، اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد ؛ والاحتساب مأخوذ من الحسب[136] ، والمحتسِبُ اسم فاعل من احتسَب يحتسِب احتسابًا فهو محتسب ، يقال: احتسب فلان على فلان إذا أنكر عليه قبيح عمله[137]، ومنه: فلان محتسب البلد ؛ إذا وُلِّي النظر في شؤون الحسبة[138]من قبل الوالي أو الوزير أو القاضي للنظر في أحوال الرعية ، والكشف عن أمورهم ومصالحهم ، فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[139]، في مختلف أعمالهم الدينية والدنيوية مما ليس من اختصاص القضاة والولاة و الجباة .

أما بخصوص مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي فيمكن القول إنها مرت بثلاث مراحل أساسية ، مرحلة النشوء ثم مرحلة التأسيس ثم مرحلة الاستقلال والتمكين ، ولكل مرحلة خصائص ومميزات ، فبالنسبة للمرحلة الأولى كانت الحسبة عبارة عن مهام جزئية توكل إلى بعض الأشخاص من تكليف الخليفة أو الوالي ، ومثاله : ما ذكره البكري أن هشام بن عبد الملك أمر بتنظيم سماط القيروان[140]وهو أكبر سوق فيها ؛ وكذلك عند قدوم يزيد بن حاتم المهلبي إفريقية سنة 155ه واليا عليها من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور، رتب أسواق القيروان وجعل كل صناعة في مكانها[141]' ثم أصلح البلاد وأزال منها الفساد، أما المرحلة الثانية فهي الانتقال إلى التنظيم والترتيب في شكل جهاز تابع لعمل الولاة ، كما قال عياض:" ... وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة"[142] يقصد شؤون الحسبة ، أما المرحلة الثالثة فهي الانتقال بها إلى مؤسسة مستقلة متكاملة الأركان ، تخضع لنظام خاص يعرف بقانون الاحتساب ، والذي يترأسه ويشرف على تسييره هو المحتسب، وفي الغالب يكون من جنس القضاة أي من الفقهاء ، ويخبرنا المقري عن مؤسسة الحسبة بالأندلس _ وهي تعتبر شهادة حية عن واقع كان قريبا منه_ فيقول:" ...وأمّا خطّة الاحتساب فإنّها عندهم موضوعة في أهل العلم والفطن، وكأن صاحبها قاض، والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكباً على الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان ... وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصبيّ الصغير أو الجارية

الرعناء فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدّ له المحتسب في الورقة، ولا يكاد تخفى خيانته ، فإن المحتسب يدسّ عليه صبيّاً أو جارية يبتاع أحدهما منه ، ثم يختبر الوزنَ المحتسبُ ، فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس، فلا تسأل عمّا يلقى، وإن كثر ذلك منه ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نُفي من البلد ، ولهم في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه ..." [143] .

2.3 . - المطلب الثاني : دور الإمام سحنون في إنشاء مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي

عرفت مؤسسة الحسبة في عصر الإمام سحنون بعدة بتسميات ومصطلحات مختلفة ، فهناك صاحب السوق أو أحكام السوق ، وصاحب المظالم والحاكم والأمناء ، فالمالكي عندما يتحدث عن صاحب المظالم في عهد الدولة الأغلبية يقول إنه المحتسب[144] ، والدباغ عنده ولاية المظالم المراد بها أحكام السوق [145]، وابن عذاري يسميه صاحب السوق والحاكم[146] ، أما مصطلح المحتسب فلم يكن متداولا معروفا [147]، لكن المهم أنها موجودة معروفة باختصاصاتها في المجتمع الأغلبي ، فقد كانت داخلة ضمن عمل الولاة[148] ، فهم الذين توكل إليهم تنظيم الأسواق ومراقبتها وكذلك محاربة الغش والخداع ، ورفع الغبن والضرر عن الناس ، يقول أبو زكرياء يحيى بن عمر الكناني : "ينبغي للوالي الذي يتحرى العدل أن ينظر في أسواق رعيته ...فإن هذا أفضل ما يحوط به رعيته ، ويعمهم نفعه في دينهم ودنياهم ... "[149]، وفي موضع آخر يقول : "فيضع الوالي المتحري العدل أرطال رعيته وقناطيرهم على هذا، ويتقدم إلى رعيته أن لا يغيّروها..."[150] .

والجدير بالذكر أن هذا التقليد فيما يتعلق بشؤون الحسبة كان سائدا عاما ، إلى سنة 234ه حين عُين الإمام سحنون ولاية القضاء من قبل الأمير محمد بن الأغلب[151] ، فقام بفصل شؤون الحسبة من يد الولاة ، وجعلها تابعة له ، ثم استعان بعمال يعينونه في الإشراف على الأسواق وشؤون العامة ، يقول القاضي عياض: " ... قال غير واحد : أول ما نظر سحنون في الأسواق ، وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة ، فنظر فيما يصلح من المعايش ، وما يغش

من السلع ، ويجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغش ، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر في الحسبة من القضاة ، وأمر الناس بتغيير المنكر ... " [152]، ومما يلاحظ من خلال ترجمة الإمام سحنون أنه كان شديد الاهتمام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاولة إحيائها بين الناس[153] ، وما قبول ولاية القضاء بتلك الصلاحيات الواسعة بعد شروط صعبة اشترطها على الأمير إلا دليل على رؤية واضحة وسياسة جديدة فيها الكثير من الحزم والعزم لأجل الإصلاح والتغيير ، وفي كتاب أرسله جوابا لصديق له يسأله معاتبا توليه القضاء يقول: " ...فأما ما كتبت أنك عهدتني وشأن نفسي علي مهم أعلم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة ، أؤدبهم على دنياهم، فلعمري إنه من لم تصلح له دنياه ، فسدت له أخراه ، وفي صلاح الدنيا إذا صح المطعم والمشرب صلاح الآخرة ، فكلا الأمرين متصل بالآخرة ، أدبهم في معايشهم ، ودفع ظالمهم عن مظلومهم ، وأخذهم الأمور من وجوهها ، أدب لآخرتهم ،لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة ، وقد حدثني ابن وهب ـ ورفع سحنون سنده ـ أن النبي ﷺ قال : " نعم المطية الدنيا فارتحلوها فإنها تبلغكم الآخرة، ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل في الدنيا بغير الواجب من حق الله ؛ وأما قولك : وليت أمر هذه الأمة ، فإني لم أزل مبتلى ، ينفذ قولي منذ أربعين سنة في أشعار المسلمين وأبشارهم ، حدثني ابن وهب ، أن عبد الله ابن أبي جعفر قال: لن تزالوا بخير ما تعلمتم ، فإذا احتيج إليكم فانظروا كيف تكونون، قال ابن أبي جعفر : فرأيت في المنام : إنما المفتي قاض ، يجوز قوله في أبشار المسلمين وأموالهم ؛ فعليك بالدعاء ، فألزم ذلك نفسك، والسلام . " [154].

ولما انتصب الإمام سحنون في مهمته الجديدة ، باشر شؤون القضاء والحسبة معا ، فاجتمعا في شخصه ، وأصبح هو الذي يختار المحتسبين نوابا عنه في الربوع القيروانية ، وصار بعدها من التقليد في القيروان أن يُعين المحتسب ، إما من طرف الأمير نفسه أو من طرف القاضي ، وربما رشح القضاة بعض الأكفاء عند الأمراء لتوليتهم وظيفة الحسبة [155]، بل إن الإمام سحنون تولى بفضل شخصيته القوية ومكانته العلمية تعيين والي المظالم[156]، الذي تعد وظيفته من المؤسسات الكبرى الذي تتقدم على مؤسستي القضاء والحسبة معا .

لقد كان للإمام سحنون فضل عظيم في نقل هذه الوظيفة من ولاية تابعة إلى مؤسسة مستقلة ، لها أصولها وأركانها ، يتولاها موظف خاص على حسب كفاءته ومؤهلاته التي ترشحه لنيل هذا المنصب ، يساعده في ذلك أعوان وحرس وفتيان ...إلخ ، ويمكن أن نتعرف على فلسفة الإمام سحنون في إدارة هذه المؤسسة ، من خلال كتب التراجم والطبقات التي تحدثنا عن كثير من الجزئيات والتفاصيل المتعلقة بممارسته لشؤون الاحتساب ، يمكن أن نجملها في النقاط الآتية :

كان يُكرم الشهود ويحتفي بهم ، ويمنع الحاضرين من التطاول عليهم ، بل ربما ضرب من يتعرض لهم بالأذى أو الطعن ، ويقول : " إذا تعرض للشهود كيف يشهدون "[157] ، كل ذلك من أجل نشر فكرة أداء الشهادة التي بها يعرف صاحب الحق ، ويتميز الظالم من المظلوم ، كما أنه كان يضرب الخصوم إذا تعرضوا لبعضهم البعض بالأذى والإساءة .

كان يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز من الطلاق والعتق[158] ، حتى لا يحلفوا بغير الله ، ويؤدبهم على سوء الحال في لباسهم [159]، وما نهي عنه، ويأمرهم بحسن السيرة والقصد .

كما نظر في أحوال الأسواق وما يتعلق بها من مراقبة وإصلاح ، وذلك لما فيه من صلاح المعيشة ، وقد حارب أنواع الغش والخديعة والمعاملات المحرمة ، وكان يؤدب على ذلك ، وربما يقوم بإخراج الجاني ونفيه من السوق إذا كان يستحق هذا العقاب ، كما أنه أمر الناس بتغيير المنكر وعدم السكوت عنه [160].

كما أنه نظر في شؤون المسجد ومنع حصول الضرر فيه ، من ذلك ما روي أنه كان شديدا على أهل البدع ، كالصفرية والإباضية والمعتزلة فأخرجهم من المسجد ومنعهم من التحلق فيه لنشر بدعتهم وضلالهم[161] ، كما منعهم أن يكونوا أئمة للناس أو معلمين لصبيانهم ، أو مؤذنين وأمرهم ألا يجتمعوا ، وأدب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره ، وأطافهم ؛ ومن اهتمامه بالمسجد أن جعل فيه إماما يصلي بالناس[162] ، وكان قبل ذلك للأمراء .

وكان ينظر في شؤون البادية وما يحتاجون إليه ، فيكاتبهم ويرسل إليهم الأمناء من أجل ذلك[163]، فبقيت سنة أخذ بها القضاة بعده .

كما أنه كان مهتما بشؤون الرعية ، وضمان الأمن والهدوء لهم ، ويذكر في هذا أنه كان شديدا على من يزعج الناس ويؤذيهم ، من ذلك أنه كان يعطي الطابع لأهل العدوى ، فإذا جاءه المستعدي بصاحبه ، أخذ منه الطابع لئلا يعبث به الناس ، ويضرب اللدد[164] ، ومن أمثلة ذلك أنه كان يأمر بقتل الكلاب العادية التي تؤذي الناس ، وبث وراءها الأعوان بالحراب للتخلص منها[165] ....

هذه بعض التفاصيل عن سيرته في ممارسة القضاء والحسبة ، لكن الملاحظ في كل ذلك أن الإمام سحنون تمتع بصلاحيات واسعة أكسبته قوة وصرامة استطاع من خلالها أن يقوم بوظيفته على أكمل وجه ، فنجده يخرج هذا من السوق وينفي الآخر منه، ويأمر بالطواف لبعضهم ، وربما كان يضرب بعض الجناة بالدرة وبلطم القفا[166] .... كل ذلك يرجع إلى الامتيازات التي منحها الأمير له ، حين توليه القضاء كما قال هو عن نفسه: "... لم أكن أرى قبول هذا الأمر ، حتى كان من الأمير معينان ، أحدهما أعطاني كل ما طلبت ، وأطلق يدي في كل ما رغبت ، حتى إني قلت له : أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك ، فإن قبلهم ظلامات للناس وأموالا لهم منذ زمان طويل ، إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي، فقال لي: نعم ، لا تبدأ إلا بهم، وأجر الحق على مفرق رأسي... "[167] ، وقد وفّى الأمير محمد ابن الأغلب للإمام سحنون كل ما ضمن له ، حتى في حين الاختلاف والنزاع معه ، كما في قصة سبي حاتم الجزري التي ذكرها المالكي والدباغ وعياض وغيرهم[168] ، فأصر الأمير على رأيه ، ثم رجع إلى قول سحنون لما رأى من صلابته وشدته في الحق ، وقال : "... ما أظن هذا الرجل يريد بنا إلا خيرا ، ونحن لا نعلم أرسلوا إليه يرسل إلينا المحتسبة ، لنكتب لهم السجلات، حتى يذهبوا إلى أقصى عملي ليأخذوا من يجدونه من الحرائر "[169] .

ومن هذا النص الأخير استنتج الدكتور لقبال أن تعيين المحتسب في منصبه كان من حق الأمراء ، وبقي للقضاة ترشيح ذوي الكفاءات وتقديمهم عند الأمراء [170]، وذهب آخرون إلى أن الاحتساب في الأسواق تداخلت فيه صلاحيات الأمير والقاضي معاً[171] ، وقد جمع أبو زكرياء يحيى بن عمر الأطراف الثلاثة جملة واحدة فقال :" فعلى هذا ينبغي للوالي أو القاضي أو الناظر في أسواق المسلمين المتحري العدل أن يعملوا في الأسواق ..."[172] وهذا مما يؤكد خضوعها لكلا الجهتين ؛ لكن الذي يبدو بعد التأمل أن النظر في الأسواق

مختلف على حسب الدرجات ، فنظر الأمير قد يكون على وجه الإشراف العام ، أما نظر القاضي فبتعيين المحتسبين والأمناء ومتابعة سير أعمالهم ، ونظر المحتسب يختلف عن نظر الأمير والقاضي ، فهو المباشر الحقيقي للحياة اليومية يصول ويجول في المساجد والشوارع والطرقات والأسواق ...وهكذا ، أما الذي يوجهه فهو القاضي كما في عبارة ابن ناجي أن حبيب بن نصر بن سهل التميمي [ت287ه] هو أول من تولى الحسبة لسحنون[173] ، والذي يبقى للأمير هو الإشراف العام، كما سبق أن أشرت عن اهتمام الوالي يزيد بن حاتم المهلبي في ترتيب أسواق القيروان وتنظيمها .

3.3 . - المطلب الثالث : دور تلاميذ الإمام سحنون في تطوير مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي

إن المتتبع لحياة الكثير من تلامذة سحنون على ما سطرته أيادي العلماء في كتب التراجم والطبقات، ليجد سلوكا متبعا ومنهجا واضحا ، كأنه مثال واحد لشواهد مختلفة تتباين فيها الأسماء والشخصيات فحسب ، ويرجع الأمر في ذلك إلى شيخهم ومعلمهم الإمام سحنون ، الذي كان له الأثر العميق في أنفسهم وفي تفكيرهم وفي تعاملهم مع الحياة .

وقد سبق الحديث عن دور الإمام سحنون في إنشاء وتطوير مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي ، وبقي السؤال هل كان لتلامذة سحنون دور في هذا الموضوع أيضا ؟ وما ملامح هذا الدور ؟ .

لقد كان لتلامذة سحنون دور بارز ومهم في الارتقاء بمؤسسة الحسبة ، ويظهر ذلك في كثير من الشخصيات البارزة التي أخذت عن الإمام سحنون ، أمثال حمديس القطان وجبلة بن حمود ويحيى بن عمر وابن وضاح القرطبي والقاضي عيسى بن مسكين ...وغيرهم ، ويمكن توضيح ملامح هذا الدور على مستويين أساسيين : الجانب النظري الفكري ؛ والجانب التطبيقي العملي .

أما الجانب النظري الفكري : والمتمثل في التنظير الفقهي لشؤون الاحتساب ، الذي ازدهر بشكل كبير ومفاجئ لأول مرة في التاريخ الإسلامي، بفضل الجهود المبذولة من قبل تلامذة سحنون ، مثل كتاب أحكام السوق لابن عمر الكناني ، الذي يعد أول مدونة جمعت فقه الاحتساب فيما يتعلق بخصوص الأسواق، تلاه جملة من المؤلفات تتعلق بالموضوع نفسه ، مثل كتاب مسائل

السماسرة لأبي العباس الإبياني تلميذ أبي زكرياء ، الذي اشتغل بتحرير مسائل فقهية تتعلق بنوع خاص من التجار ينشطون في أسواق القيروان ؛ وفي جانب آخر من مسائل الاحتساب يتعلق بموضوع التعليم وأحكامه ألف محمد بن سحنون كتابه الشهير "آداب المعلمين" ، وهناك أيضا جانب آخر اهتمت به أذهان الفقهاء من تلامذة سحنون ، حظي باهتمام فائق وملفت ، وهو موضوع التأليف في البدع وأهل الأهواء والردود عليهم ، مثاله : كتاب البدع والنهي عنها لأبي عبد الله محمد بن وضاح القرطبي ، وكذلك أبو زكرياء يحيى بن عون له كتاب في الرد على أهل البدع[174] ، أما كتب الردود والتشنيع على المخالفين فهي كثيرة جدا ، ألف ابن عمر الكناني جملة منها "كتاب الرؤية"[175] ويقصد بذلك مسألة النظر إلى الله يوم القيامة وهي مسألة أثير حولها الجدل كثيرا في إفريقية ، وكتاب "الرد على الشكوكية"[176] والمقصود العبدوسية نسبة إلى ابن عبدوس الذي اختلف مع محمد بن سحنون في مسألة الإيمان ، هل يقال أنا مؤمن إن شاء الله أم لا ؟ ، وله كذلك كتاب "الرد على المرجئة"[177] ، وكتاب "النهي عن حضور مسجد السبت" [178]، إذ كان يرى الحضور فيه من البدع المنافية للسنة ، وكذلك عبد الله بن طالب له تآليف في الرد على المخالفين من الكوفيين[179]...وغيرهم ، تعتبر هذه المؤلفات في مجال الاحتساب الطليعة الأولى أو المنطلق العام لتوجيه العناية إلى هذا النوع من التأليف ، الذي أصبح فيما بعد علما خاصا له قواعده وأصوله وتقاليده .

والجانب التطبيقي العملي : والمتمثل في سلوك عام انتهجه تلامذة سحنون ، بشكل واضح وبيّن يعرفه كل من طالع كتب التراجم والطبقات ، وقد ساهم هذا السلوك إلى حد ما في تطوير مؤسسة الحسبة بالغرب الإسلامي ، من ذلك مثلا امتهان هذه الوظيفة من أجل تحقيق العدل والأمن للناس ، فقد تولى ثلة منهم ولاية الحسبة وكان لهم أثر حسن ونظر جيد فيها ، كالفقيه أبي نصر حبيب بن نصر بن سهل التميمي[180] ، ولاه سحنون المظالم _أي الحسبة_ سنة ست وثلاثين ومائتين[181] ، فوليها ست سنين بقية حياة سحنون ، ثم بعد موته سنتين ، وكان سحنون قدمه ليحكم بين الناس في الأسواق[182]، وأذن له أن يحكم في عشرين دينارا فأقل[183] ، أما عن سبب توليته فيخبرنا عن نفسه فيقول:" والله ما ظننت ذلك قط مع غيره ، فكيف معه ! وذلك أني تأخرت يوماً

عنه ، فسأل عني ، فأخبره أصحابي أني غسلت ثوبي ، فلما أتيته من غد ، وجلست إليه ، قال لي: قم يا حبيب ، فقد وليتك مظالم القيروان ، ثم قال لي: اتق الله يا حبيب ، الذي إليه معادك ، ولا تؤثر على الحق أحدا ، وقال لاثنين من أصحابه: امضيا معه حتى يجلس في مسجد البركة ، وينظر بين الناس ، فما كنت أحكم في شيء منه سهُل حتى أشاوره..."[184] ؛ ومنهم أبو القاسم الطرزي محمد بن محمد بن خالد القيسي[185] ، عينه القاضي ابن مسكين على الحسبة بالقيروان[186] ، وكان شديدا في تغيير المنكر ، لم يل أسواق القيروان قبله أضبط منه [187]، ومن غريب شدته أنه احتسب على الفقيه محمد بن زرقون المعروف بابن الطيارة وكان إماما وخطيبا بجامع القيروان[188] من أهل الفضل والصلاح ، وذلك أنه مر ذات يوم بدار ابن زرقون ، والماء يخرج من قناة داره ، فقال له:" آذيت المسلمين بما يخرج من دارك ، فقال له: وقع في بئرنا فأر وطهرناه ، فقال: نجس أيضا ؟ فحبسه في المسجد ، فلما حانت الصلاة أطلقه ، وقال له لولا أنك الإمام ما أطلقتك "[189] ؛ ومنهم إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل القرطبي من تلامذة سحنون[190] ، صاحب السوق في قرطبة في عهد الأمير محمد ابن عبد الرحمن الأموي [238 ه_ 273ه] ، قال ابن لبابة:" وحضرته وقد ضرب شاهد زور عند باب الجامع أربعين سوطا ، وحلق لحيته ، وسخم وجهه "[191] ، وممن ولي الحسبة من تلاميذ سحنون أيضا محمد بن المبارك الزيات وأبو زيد قاسم بن عمرو ابن صاعد التميمي ولاهما ابن طالب على القيروان[192] ؛ وكان بعض تلاميذ سحنون في خدمة المحتسب يعملون عنده كأعوان مساعدين أو أمناء في الأسواق أو البوادي ، أو في خدمة القاضي كفقهاء مشاورين أو كتاب ونحو ذلك ؛ وفي جانب آخر من هذا السلوك وهو مجانبتهم لأهل الأهواء والبدع نجد العديد من تلامذة سحنون ممن عرف عنهم الشدة والغلظة على أهل البدعة كجبلة بن حمود حيث عقد القاضي عياض في ترجمته فصلا في ذكر شدته على أهل البدع ومجانبته إياهم وقوته في ذات الله عز وجل[193] ، وكذلك أبو زكرياء يحيى بن عمر الكناني والقاضي عيسى بن مسكين وعبد الله بن طالب وحمديس القطان ...وغيرهم، ومن شدتهم على أهل البدع أنهم كانوا يتركون الصلاة خلف المبتدعة عقوبة وهجرا لهم ، فلما ولي الصلاة ابن أبي الحواجب بالقيروان ، وكان متهما بالرفض ، ترك الصلاة خلفه يحيى بن عمر ومحمد بن

سحنون وحمديس القطان ، وكانت هذه عادتهم ؛ كذلك في جانب آخر فيما يتعلق بالحسبة التطوعية أي الخروج من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجد العديد من أصحاب سحنون ممن عرف عنه هذا الأمر ، حتى إن سحنون أرسل إلى قاضيه علي بن سالم البكري بسفاقس أن يزجر أقواما يشتدون في تغيير المنكر ، حين بلغه أنهم ينكرون المنكر بما هو أنكر منه[194].

الهوامش :

[1] انظر: ابن عذاري، أحمد ، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، ت: بشار عواد ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1=2013م ، 150/1 .

2 نفسه ، 1/ 151 .

3 انظر: شرحبيلي ، محمد ، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ، ط1= 2000م ،ص 48 .

4 انظر: المقري ، أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، ت: إحسان عباس ، دار صادر ، ط= 1968 م، 458/1 .

5 انظر: الحطاب ، محمد ، مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل ، ت: محمد يحيى الشنقيطي، دار الرضوان ، نواكشوط ، ط1= 2010م، 308/6 .

6 انظر: عياض ، اليحصبي ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ت: عبد القادر الصحراوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ط2=1983م ، 51/4 .

7 نفسه ، 25/1 -26 .

8 نفسه ، 80/3 .

9 نفسه، 81/3 .

10 انظر: تقديم الشيخ محمد الشاذلي النيفر، موطأ الإمام مالك قطعة منه برواية ابن زياد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط3=1980م،ص 25 -26 و ص29 -30 .

11 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 51/4 ؛ والدباغ ، عبد الرحمن ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ت: إبراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2=1968م ، 83/2 .

12 انظر: التنبكتي، أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس ، ط2=2000م، ص175 ؛ وابن القاضي ، أحمد ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ط=1973م، ص194 -195 ؛ ومخلوف ، محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ت: عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1=2003م، 153/1 -154 .

13 انظر: المالكي ، أبو بكر، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ت: بشير بكوش و محمد العروسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2=1994م، 345/1 .

14 نفسه ، 346/1 .

15 انظر: عزب، محمد زينهم ، الإمام سحنون ،دار الفرجاني ، القاهرة ، ط1992م ، ص 65 .

16 انظر: عياض ، المصدر السابق ، 46/4 .

17 انظر: ابن عذاري ، البيان المغرب ، 150/1 .

18 انظر: ابن خلكان ، أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،ط=1978م ، 182/3 .

19 انظر: المالكي ، المصدر السابق ، 346/1 .

20 نفسه ، 346/1 .

21 انظر: المالكي ، رياض النفوس، 350/1 -351 ؛ وعياض ، ترتيب المدارك ، 47/4 ؛ والدباغ ، انظر: المالكي ، المصدر السابق ، 347/1 .

21 انظر: عياض ، المصدر السابق، 4/ 46 .

21 انظر: المالكي معالم الإيمان ، 80/2 .

22 في ذلك خلاف انظر: عياض ، المصدر نفسه ، 46/4 ؛ وعزب ، محمد زينهم ، الإمام سحنون ، ص 66 وما بعدها .

23 انظر: المالكي ، المصدر السابق ، 347/1 .

24 انظر: عياض ، المصدر السابق، 4/ 46 .

25 انظر: المالكي ، المصدر السابق ، 1/ 348 .

26 نفسه ،348/1 .

27 انظر: عياض ، المصدر السابق ، 4/ 47 .

28 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 4/ 46 .

29 نفسه ، 50/4 .

30 نفسه ، 50/4 .

31 نفسه ، 50/4 .

32 انظر: أبو العرب ، محمد ابن تميم ، كتاب طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، د.ط.ت ، ص 101 .

33 انظر: المالكي ، رياض النفوس ، 1/ 346 .

34 انظر: عياض ، المصدر السابق، 4/ 49 .

35 انظر: أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 104.

36 انظر: الدباغ ، معالم الإيمان ، 83/2 .
37 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 4/ 53 -54 .
38 نفسه ، 4/ 54 .
39 نفسه، 4/ 80 .
40 نفسه، 4/ 80 .
41 نفسه، 4/ 86 .
42 نفسه ، 74/4 .
43 نفسه، 74/4 .
44 نفسه ، 379/4 .
45 نفسه ، 379/4 .
46 نفسه ، 379/4 .
47 انظر: الخشني ، محمد ، طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، د.ط.ت ، ص 134 .
48 نفسه، ص134 .
49 ترجمته في ترتيب المدارك . انظر: عياض ، المصدر السابق ، 384/4 .
50 نفسه ، 379/4 .
51 نفسه ، 379/4 .
52 نفسه ، 379/4 .
53 نفسه ، 379/4 .
54 نفسه ، 380/4 .
55 نفسه ، 4/ 371 .
56 نفسه ، 4/ 371 .
57 نفسه ، 4/ 371 .
58 نفسه ، 4/ 372 .
59 نفسه ، 4/ 372 .
60 نفسه ، 4/ 373 .
61 نفسه ، 4/ 373 .
62 نفسه ، 4/ 373 .
63 نفسه ، 4/ 373 .
64 نفسه ، 4/ 373 .
65 نفسه ، 4/ 378 .
66 نفسه ، 4/ 375 .

67 نفسه ، 4/ 375 .

68 نفسه ، 4/ 374 -375 .

69 نفسه ، 4/ 375 .

70 نفسه ، 4/ 376 .

71 نفسه ، 4/ 369 .

72 نفسه ، 4/ 370 .

73 نفسه ، 4/ 370 .

74 نفسه ، 4/ 369 .

75 نفسه ، 4/ 370 .

76 نفسه ، 4/ 357 .

77 نفسه ، 4/ 358 .

78 نفسه ، 4/ 364 .

79 نفسه ، 4/ 357 .

80 نفسه ، 4/ 364 .

81 نفسه ، 4/ 358 .

82 نفسه ، 4/ 359 .

83 نفسه ، 4/ 358 .

84 نفسه ، 4/ 362 .

85 نفسه ، 4/ 361 .

86 نفسه ، 4/358 و 360 .

87 نفسه ، 4/ 359 .

88 نفسه ، 4/ 334 .

89 نفسه ، 4/ 332 .

90 نفسه ، 4/ 332 .

91 قيل تولى ابن مسكين القضاء حين خشي أن يول الأمير إبراهيم بن الأغلب محمد بن عبدون ، فيظهر البدعة ويهين أهل السنة ، والمقصود طبعا بأهل السنة تلامذة سحنون وأتباعهم ، لأن ابن عبدون كان عراقياً متعصباً ، من أعدائهم يقول بخلق القرآن وغير ذلك ... انظر: ترتيب المدارك ،المصدر نفسه ، 4/ 336 و 4/ 356 .

92 نفسه ، 4/ 333 .

93 نفسه ، 4/ 332 .

94 نفسه ، 4/ 332_333 .

95 نفسه ، 4/ 333 .

96 نفسه ، 4/ 336_ 337 .
97 نفسه ، 4/ 337 .
98 نفسه ، 4/ 341 .
99 نفسه ، 4/ 341 .
100 نفسه ، 4/ 341 .
101 نفسه ، 4/ 341 .
102 نفسه ، 4/ 341 .
103 نفسه ، 4/ 341 .
104 نفسه ، 4/ 350 .
105 نفسه ، 4/ 309 .
106 نفسه ، 4/ 308 .
107 نفسه ، 4/ 330 .
108 نفسه ، 4/ 309 .
109 نفسه ، 4/ 310 .
110 نفسه ، 4/ 309 .
111 نفسه ، 4/ 309 .
112 الشواهد على ذلك كثيرة . انظر: ترتيب المدارك ، المصدر نفسه ، 4/ 314 وما بعدها إلى ص 320 .
113 انظر: عياض ، المصدر نفسه ، 4/ 310 .
114 نفسه ، 4/ 310 .
115 نفسه ، 4/ 310_ 325_326_330 .
116 نفسه ، 4/ 356 .
117 نفسه ، 4/ 357 .
118 نفسه ، 4/ 357 .
119 نفسه ، 4/ 357 .
120 ابن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، ت: عزة العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2=1988م ،17/2.
121 انظر: الحميدي ، محمد ، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ت: بشار عواد ومحمد بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1=2008م، ص 141 .
122 انظر: ابن فرحون ، إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ت: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ، د.ط.ت، 2/ 180 .
123[123] نفسه ، 2/ 180 .

124 نفسه ، 2/ 180 .

125 نفسه ، 4/ 78 .

126 نفسه ، 4/ 253 .

127 هذه المقولة من كلام ابن حزم ، نقلها عنه القاضي عياض في المدارك ، 4/ 254 .

128 انظر: عياض ، المصدر نفسه ، 256/4 .

129 نفسه ، 4/ 256 .

130 نفسه ، 4/ 240 .

131 نفسه ، 4/ 240 .

132 نفسه ، 4/ 248 .

133 نفسه ، 4/ 249 .

134 نفسه ، 4/ 250 .

135 انظر: ابن الفرضي ،عبد الله ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، ت: السيد عزت العطار الحسيني ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط2=1988م ، 1/ 139 .

136 انظر: ابن منظور، الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ت : ياسر سليمان أبو شادي و مجدي فتحي السيد ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، د.ت ، 3/ 190 .

137 انظر: الزبيدي ، السيد محمد ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ت : علي هلالي ، ط 2 ، الكويت ، التراث العربي: مطبعة حكومة الكويت ، 1987 م ، 2/ 278 ؛ وابن منظور ، المرجع نفسه ، 3/ 192.

138 انظر : السقطي ، في آداب الحسبة ، ت: ليفي بروفنسال وكولان ، باريس ، مكتبة إرنست لورو ، منشورات المعهد العالي للدراسات المغربية ، 1931م ، ص 05 .

139 انظر: ابن خلدون ، المقدمة ، دار ابن الهيثم ، القاهرة ، ط1= 2005م ، ص 180.

140 انظر: البكري ، عبد الله ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ت: حماه الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1=2013 م، ص 106 .

141 انظر: الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، ت: المنجي الكعبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2=2005م ، ص 181؛ وابن عذاري ، البيان المغرب ، 112/1 .

142 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 60/4 .

143 المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت: إحسان عباس ، ط1، الجزائر، دار الأبحاث، 2008م، 1/ 218_219 .

144 انظر: المالكي ، رياض النفوس ، 55/2 .

145 انظر: الدباغ ، معالم الإيمان ، 9/3 .

146 انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، 1/ 167_195 ، ط.القديمة ، ت: كولان وليفي بروفنسال،دار الثقافة ، بيروت، ط3= 1983م.

147 انظر: بوبة ، مجاني ، الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي ، دار رؤية ، ط1= 2014م، ص 110 ؛ وحسن حسني عبد الوهاب، (أصل الحسبة بإفريقية) ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد 04 ، تونس ، 1967م ، ص 5 -6 .

148 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 60/4 ؛ والدباغ ، المصدر السابق ، 87/1 .

149 الكناني، يحيى بن عمر، أحكام السوق ، ت: إسماعيل خالدي ، دار ابن حزم، بيروت، ط1=2001 م، ص 95 .

150 نفسه، ص 101.

151 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 55/4 -56 .

152 نفسه، 60/4 .

153 نفسه ، 48/4 -49 -50.

154 نفسه ، 57/4 -58 .

155 انظر: لقبال، موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1=1971م،ص 42 .

156 انظر: الفاسي ، عبد الرحمن ، خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين ،دار الثقافة ، ط1=1984م، ص 60 ؛ وعبد الوهاب، (أصل الحسبة بإفريقية) ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد 04 ، ص 19 .

157 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 59/4 .

158 نفسه، 4/ 59 .

159 نفسه، 4/ 59 .

160 نفسه، 4/ 60 .

161 نفسه ، 4/ 60 .

162 نفسه، 4/ 60 .

163 نفسه، 4/ 60 .

164 نفسه، 4/ 61 .

165 نفسه، 4/ 61 .

166 نفسه، 4/ 61 .

167 نفسه، 4/ 56 .

168 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 4/ 64 ؛ والدباغ ، معالم الإيمان ، 89/2 .

169 هذه المقولة من نسخة الدكتور حسين مؤنس، وهي غير موجودة في طبعة دار الغرب الإسلامي بنشر بشير البكوش .انظر: المالكي، أبو بكر ، كتاب رياض ا لنفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، ت: حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1=1951م، الجزء الأول ، ص 280 .

170 انظر: لقبال، الحسبة المذهبية ، ص 42

171 من هؤلاء الدكتورة لواتي دلال في رسالتها :"عامة القيروان في عصر الأغالبة" ، دار رؤية ، القاهرة، ط1=2015م، ص 339.

172 انظر: ابن عمر ، أحكام السوق، ص 116 .

173 انظر: الدباغ ، المرجع السابق ، 2/ 198 -199 .

174 انظر: عياض ، ترتيب المدارك ، 4/402 .

175 نفسه ، 4/ 359.

176 نفسه ، 4/ 359.

177 نفسه ، 4/ 359.

178 نفسه ، 4/ 361.

179 نفسه ، 4/ 310.

180 نفسه ، 4/ 369 .

181 نفسه ، 4/ 370 .

182 انظر: الدباغ ، معالم الإيمان ، 2/ 199 .

183 انظر: عياض، المصدر نفسه ، 4/370 .

184 نفسه ، 4/ 370 .

185 نفسه ، 5/ 103 .

186 نفسه ، 4/ 342 .

187 نفسه ، 5/ 105 .

188 نفسه ،4/ 402

189 نفسه ، 5/ 104 .

190 نفسه ، 4/ 242 -243 .

191 نفسه ، 4/ 244 .

192 نفسه ، 4/ 417 .

193 نفسه ، 4/ 375 .

194 نفسه ، 4/ 406 -407 .